انطباعات حول المؤتمر

التالي هو مجموعة من الانطباعات، والآراء، والانتقادات، والتأملات، التي تكونت لدى المعلمين المشاركين في المؤتمر التربوي الثاني، حيث تعكس هذه الانطباعات رؤى مختلفة حول ما تم في المؤتمر.

تأملات معلم في المؤتمر التربوي الثاني

للوهلة الأولى بدا لي أن عدد الحضور للمؤتمر التربوي الثاني ضعف ما كان علية في المؤتمر الأول، وهذا مؤشر على مدى نجاح رسالة مركز القطان للبحث والتطوير التربوي في الوصول إلى المعلم الفلسطيني على الرغم من قسوة الظرف السياسي والاقتصادي والاجتماعي، ولعلمهم أن "القطان" سيقدم في هذا المؤتمر شيئاً مغايراً، وأنه سيكون تجسيداً للواقع التربوي والمهني الذي سيعيشه المعلم، فهو سيعكس في ثقافته سماته الأساسية التي بدورها ستنعكس إيجابياً في نظام التعلم والتعليم، ومن جانب آخر تميز هذا المؤتمر عن سابقه بمشاركة واسعة من المعلمين الذين قدموا مساهمات فكرية، بعكس المؤتمر الأول الذي لم يسجل فيه حضور فكري للمعلمين.

في هذا المؤتمر أطلت علينا مجموعة من المشاركين الذين وصفوا المشهد التربوي عبر تجارب ذاتية أو أوراق فكرية أو مداخلات مرتجلة. في أثناء عرض التجارب لاحظت الدهشة في عيون المعلمين وتحولها إلى حب استطلاع، وأحياناً كانت هذه الدهشة تتحول إلى اندهاش من دفق التجريد الفكري والترميز الفلسفي الذي رافق بعض المداخلات.

في مداخلته، يطالب وسيم الكردي المعلمين خلع رداء المعلم خارج الغرف الصفية، وينادي بأعلى صوته رافعاً شعاراً "أن تكون معلماً يعني أن لا تكون معلماً"، بدأت أرتب مفردات هذا الشعار الذي يكسر الصورة النمطية للمعلم، ويدعو إلى معلم جديد مثقف، وبدأت أربط معاني هذه الكلمات وما أمارسه في غرفة الصف، وكم كانت دهشتي كبيرة عندما تذكرت أن أفضل الحصص وأكثرها عطاءً وتواصلاً مع الطلبة هي التي كنت فيها أنسى أنني معلم.

وبعد وسيم الكردي أطلت علينا نسرين عواد لتقدم ورقة د. عز الدين الخطابي، حول فلسفة التكوين ومقارباته، واصفة لنا العلاقة ما بين المكون والتكوين والكائن، مبينة أن التكوين الذاتي مرتبط بالفكر الحداثي الذي بدوره أكد على مركزية الإنسان وقدرة العقل على فهم العالم وإدارته والتنبؤ به، وما أنتجته من منظومة فكرية تتمثل بالديمقراطية وسلطة الحجة ونسبية الحقيقة وحق الاختلاف والمواطنة والتسامح.

ثم أطل علينا مالك الريماوي ليقدم لنا ورقته حول أبعاد هوية المعلم المهنية والأخلاقية والمجتمعية، وحدد مجالات مزاولة المهنة وحدودها، بحيث يحترم المعلم حقوق الآخرين ويلتزم بنسبية الحقيقة. ولكي يتحقق مفهوم الهوية المهنية نادى بأن تكون هناك ممارسة تأملية وممارسة تبادلية وكتابة تحليلية من خلال الحديث مع الذات وقراءة الآخر ومساءلة الهوية. وللتعمق، رأى بضرورة تصوير ما نقوم به عبر تقنية الفيديو لتحليل ما قلناه وما فعلناه في غرفة الصف؛ للوقوف على أدق التفاصيل في مواجهة الذات. وحتى ينضج مفهوم الهوية اعتبر الريماوي أن التمثيل ولعب الأدوار وتبادل مواقع الذات، أمر مهم في فهم الآخر، واعتبر الريماوي أن الحوار التربوي مع المتعلمين على أرضية الديمقراطية والاستقلالية عامل حاسم للوقوف على أدق التفاصيل في الهوية المهنية.

وللحقيقة أقول أن هذه المداخلة جاءت في وقتها في ظل الفجوة الكبيرة ما بين الهوية والمهنة بسبب الظروف التي يمر بها قطاع المعلمين، والتراجع في المنظومة التربوية والتعليمية.

وكم هو جميل أن يتكلم الإنسان عن تجربته؛ فهذا وائل يتجول في حجرات أدمغتنا، يخرج المدفون فيها، الذي نرفض أن نبوح به، ويحلق بنا عبر سنوات الدراسة، فهذا له قصة جميلة مع معلم اللغة العربية فيذكرها باستمرار ويتباهى بها ويثني كثيراً على ذاك المعلم، وآخر له قصة مؤلمة

مع معلم الرياضيات يرفض إخراجها من سباتها، لأنها في مضمونها هي والمعلم تمثل كابوساً ثقيلاً علية يرفض حتى التفكير فيها، ومتمنياً بقاءها في غياهب المجهول، فيأتي وائل ويصر على إخراج العفاريت من قماقمها، طالباً منا الربط بين ما كنا نرفضه كطلاب وما نمارسه اليوم كمعلمين، واضعاً أنفسنا أمام النقد الذاتي طارحاً شعار تغيير في المواقع يعني تغيير في الشعارات.

أما مشهور البطران، فيقدم دراسة نقدية لأطروحة عز الدين الخطابي، طارحاً رؤية تصورية لما آلت إليه العملية التربوية في فلسطين، منوهاً إلى أن التربية في جوهرها هي الفعل حاضراً من أجل المستقبل، فالثبات والجمود هي دعوة صريحة لمجتمعنا أن يرتحل إلى أرصفة التاريخ، ينظر ببلاهة على الحضارة الإنسانية المنطلقة في شوارع وممرات المكان والزمان حاضراً ومستقبلاً.

وأشار البطران إلى أن ما يمارس من أساليب سلطوية في داخل المؤسسة التربوية، وما تتعرض له المؤسسة التربوية من إحباطات أدى إلى زعزعة أركان الإبداع والتفكير النقدي.

وكذا أوضح البطران في مداخلته أن انتقاء التخصصات في الجامعات الفلسطينية والعربية يقوم على تراتبيات تعتمد على قيم السوق التنافسية، الأمر الذي يجعل من الجامعات أداة لتسويق فكر العولمة، وأيضاً بين أن الجامعات ما زالت تتبنى طرق التدريس القائمة على التبليغ والنقل، رافضاً الوصفات التعليمية الجاهزة لأنها تمنع الإسهام الذاتي في عملية التكوين الذاتي، داعياً إلى التعاطي مع تجارب الآخرين التي تضيف كل يوم شيئاً جديداً، مشدداً على توثيق العلاقة بين التعليم والمواطنة حتى نخرج العقل من انزوائه في الغرف الصفية، مطالباً الجميع بجعل التربية ساحة تستوعب الجميع، داعياً للتخلي عن الأوهام لنترك للآخرين حيزاً يرون ذواتهم فيه.

فؤاد اطميزي قام بعرض تجربته، لا بل تجربة كل معلم، ويضعها أمام نفسه، فهذا معلم يستخدم عضلاته ويتمعن في فرض سلطته في داخل الصف، فتخرج حصته مقيتة مبتورة، وآخر يخلع رداء السلطة ويطلق فضاء من الحرية فتخرج حصته مفيدة ومتينة، ولا أجافي الحقيقة إن قلت أن هذه التجربة وضعت كل معلم أمام مقارنة بين نموذجين من الممارسة التعليمية.

وللحقيقة أقول إن كل من انخرط في العمل المؤسساتي والنقابي وزاد من ثروته الثقافية من خلال القراءة والكتابة؛ لا بد من أن يرفع شعار إذا أردت أن تكون معلماً فيجب أن لا تكون معلماً داخل الصف؛ سواء في تعامله مع طلبته أم مع مجتمعة.

ولا ننسى الإنسان الكبير الذي أضفى على المؤتمر شعوراً كبيراً بالارتياح، وذلك من خلال عباراته الرزينة والموزونة، ألا وهو د. فؤاد المغربي، وكم كان شعوري جميلاً عندما علمت أنه يدرس في إحدى الجامعات الأمريكية، حيث أدركت أن هذه الأمة التي بها مثل هذه النخب هي أمة حية، وأن هذه النخب المتواضعة المثقفة هي التي ستنشر رسالتنا وثقافتنا وقيمنا وأخلاقنا إلى الأمم الأخرى.

وفي النهاية، أقول إنني سررت كثيراً وتألمت أحياناً، سررت من تلك المداخلات والاستفسارات الجميلة من المعلمين التي تنبع من أعماقهم، والتي تنم عن الحنين لمثل هذه النشاطات الهادفة والبناءة، الداعية إلى خلق معلم مثقف مجدد مستنير محاور مبدع منتم إلى مهنته، وتألمت عندما سمعت بعض المداخلات التي كان ينقصها الإرث الثقافي الواسع، والتي تبحث في الجزء الفارغ من الكأس وتنسى الجزء المملوء منه.

وكذلك كان لي تحفظ على الجلسة الأولى للمؤتمر، حيث التقنيات غير معدة جيداً، وكان هناك بتر للتجارب المعروضة، ما أوصلها ناقصة غير مكتملة كمن يزرع في أرض بور فيخرج زرعها غير مثمر.

ومع ذلك، فإنني أتمنى أن تعقد مثل هذه المؤتمرات وبشكل دوري كل عام، لأنها تلامس صيرورة المعلم وكيانه وذاته.

منسق منتدى معلمي إذنا
عبد الحليم نمر اسليمي

التفاعل والترحال في سوق عكاظ

أستطيع أن أبدأ بهذا العنوان مراجعتي لأحداث المؤتمر التربوي الثاني الذي عقده مركز القطان للبحث والتطوير التربوي مشكوراً، حيث كانت تجربتي الأولى في المشاركة والحضور لفعاليات مؤتمر تربوي بهذا الحجم وهذا الحضور، وحين تكون بين صفوة من خيرة أبناء هذا الوطن المثقل بالجراح، وفي يومين متتاليين تفصلهما ليلة مليئة بالنقاش والحوار وكأنه لا يوجد فاصل زمني للفعاليات، يدرك الإنسان أهمية الموضوعات

المطروحة وانتقاليتها وإعجابه بالتجارب الذاتية ومعديها.

كان اليوم الأول حافلاً بالتعارف أولاً والتجارب الذاتية المعروضة، وأستطيع أن أقول إن الجميع أبدع في العرض والمداخلات ابتداء من الأخ مالك الريماوي، حيث عرض سيرة الحياة ورمزية المعنى بالصورة والتمثيل، وكذلك الأخ نسيم قبها، حين مزج بين الواقع والشكل من خلال مداخلته "انزياح الشخصية في فضاءات الممارسة"، كما أفادت تهاني رضوان في مداخلتها في توظيف الحرية المضبوطة في التعليم.

وأثناء وجودي في قاعة المؤتمرات كنت ألاحظ وجود شيء من الأحاديث الجانبية وعدم انسجام مع المواضيع التي كانت تعرض بواقع فلسفي، مع أنني كنت مشدوداً بعض الشيء، وبخاصة في المواضيع التي عرضها كل من الأستاذين وسيم الكردي، ومشهور البطران، حيث شاركت في مداخلة وسؤال حول التكوين والتربية، وكذلك في ورقة عبور باتجاه المعنى التي عرضها الأستاذ وائل كشك، حيث التقي معه في تدريس مادة الرياضيات.

وحول الورش اخترت أن أشارك في ورشة الصورة والكلام يفتحان أفقاً للمعرفة واستكشاف الذات، وخرجت بضرورة النظر إلى ما هو أمامي بزوايا مختلفة ونوافذ للمعرفة والبحث عن المضامين، ونسج القصة المعبرة اجتماعياً وتربوياً وإنسانيا قبل كل شيء، لأن قيمة المرء بما يحسنه، وأستطيع أن أقول إنني خرجت من المؤتمر بأفكار عدة:

- المعلم كإنسان يتفاعل في نقل المدرسة إلى المجتمع ونقل المجتمع إلى المدرسة.
- المعلم كإنسان بحاجة لأن يترجم الاختلاف إلى ثورة معرفية.
- المعلم كإنسان بحاجة ولو لمجرد كلمة تدفعه إلى تطوير أدائه المعرفي والثقافي.
- المعلم بحاجة إلى توافق مجتمعي وانسجام.
- المعلم كإنسان لا بد أن يشق طريقه وسط زحام الآخرين.
- المعلم كإنسان بحاجة للإطلاع على تجارب الآخرين.

خليل محمد فريجات
منتدى معلمي الظاهرية

فلسفة تأمل ... من عتبات الواقع إلى أفق المستقبل

لا شيء أقوى من فكرة .. على جنباتهم ألم الواقع وقسوته ... وفي ذواتهم فكرة ورسالة .. احتشادهم أمام المعهد الوطني في البيرة، يرسم للمشاهد صورة معلم استلّ من آلامه حلاوة الرحيق المختوم. وهناك ارتسمت ملامح شخوص هم أقرب إلينا من أسمائهم، يمتشقون ابتسامة المُجد، وجدّ العمل وقوة الكلمة وحِدّة الحرف، شعارهم اليوم: كان بالأمس الفعل لنا، واليوم أنتم كمعلَمين مَاذا فعلتم؟ ... إنهم باحثو مركز القطان للبحث والتطوير التربوي.

في الجلسة الأولى للمؤتمر، تخوض كل من باسمة صواف وأمل قطاوي مغامرات في فوضى الأسماء والأفعال، وتعلن تهاني رضوان عن أن دخول دائرة الممنوع يوصلنا إلى حلول، وفي يوم المؤتمر الثاني يخبرنا د. فؤاد المغربي أن "الاستثمار في الإنسان الفلسطيني أهم استثمار لتخطي المآسي"، فللاستثمار خطة يجب أن يرسمها كل معلم، لأن الإنسان المستثمر هو من أنتج ثمرة فعله بشكلٍ مختلف.

يطل وسيم الكردي علينا رافعاً شعار "أن تكون معلماً يعني أن لا تكون معلماً"، والبحث خلف هذا العنوان يقودنا إلى تنقيب عن مضمون وتحطيم قوالب قديمة ... "التعليم رحلة وزاده يدلف إلى المغامرة" ... المعلم مغامر، والمغامر يحدد هدفه ... بعد أن تخضها .. اسأل نفسك ماذا بعد؟

ليانا جابر تخبرنا أن "لا شيء أفضل من العودة إلى مكان ما زال باقياً على حاله لتجد الطريقة التي تغيرت بها...". لكني بطبعي لا أحب العودة إلى الوراء ... أما كعودة ليانا فسأعود ومتى وجدت الطريقة سأبدأ ثورة تغيير.

وائل كشك يعلمنا أن "تغييراً في المواقع هو تغير في القناعات". تغير القناعات يعني أن تكون مرهف الإحساس، عميق التفكير، تمتلك قوة تحيطها مرونة، وعلماً ترسمه كلمات تماماً كما فقل وائل.

في ورشة "المعلم وأقنعته" يبدو الريماوي بكلمات قليلة، وحركات كثيرة، يقطع الوقت قبل أن يقطعه، يتسابق مع فكرة . . دراما . . رسم . . كتابة . . مواقف تربوية . . نشاطات مبعثرة بانتظام تحاكي الذات وتبحث عن الهوية المهنية .

وفي المضمون وصية تقول: كن معلماً لك هويتك المهنية الخاصة بك، لا تحمل بطاقة هوية لا تختلف عن غيرك سوى بالاسم والصورة، اجعل لمهنتك بصمة خاصة بك . . كن مختلفاً للأفضل .

الخاتمة: حضرت المؤتمر . . أما بعد؟ أو ماذا بعد؟ سؤال للذات .

مي الخطيب

نظرات محدِّقة في مؤتمر "القطّان" الثاني

لطالما كان الاختلاف التربوي في أروقة الصالونات الفكرية وفي مجالس التربويين هو نقطة الاشتراك ومحل النقاش بين التربويين، ولعل المؤتمر التربوي الثاني الذي نظمه وأعده مركز القطان هو نقلة نوعية، من شأنها إزالة الأتربة عن الجذور التربوية، وقد أقول إنه المؤتمر التربوي الأول وليس بالثاني. فالمؤتمر التربوي الأول لم يكن المعلم فيه بذاك البروز والحضور، أما هذا المؤتمر، فقد كان فيه للمعلم دور محوري في الإعداد والتقديم والتخطيط ونهاية بالتقديم أيضاً، وحتى بالتقييم، ولأن السؤال الذي يطرح دائماً هو: ماذا قدم المؤتمر للمعلم في الناحية التربوية والمهنية؟

فأقول أولاً: إن المؤتمر قد فاجأ المشاركين بشكل عام، بأن لا (وجبات جاهزة) تقدم للمعلم لنقله من حالة الكود والروتين، لحالة التطور والانطلاق، فقد أعاد المؤتمر-بذكاء- المسؤولية التربوية على كاهل المعلم نفسه، بل وبعث فيه روح الأمل والقدرة على الإبداع إن عزم المعلمون والتربويون بشكل عام على المبادأة والمبادرة أن يصنعوا هم بأنفسهم تلك الوجبات التي من شأنها تغيير حال المعلم بالإيجاب، وتبديل الروتين التربوي إلى حيوية فكرية تربوية لا تطيق أن تكون حبيسة .

ثانياً: فبعد الانتقادات المعلنة والهمسات هنا وهناك من المعلمين الذين انتقدوا أصحاب المداخلات على اعتبار أن الطرح فلسفي تارة، وأن هنالك فجوة فكرية بين المشاركين والقائمين على المؤتمر تارة أخرى، فقد حصل التفاعل، بل إن الفكرة وصلت إلى جموع المعلمين التي فحواها: أن المعلم يجب أن يرتقي هو لمستوى الخطاب، لا أن يهبط الخطاب لمستوى المعلم. وتعاد الكرة بأن المعلمين يجب أن يعملوا على أنفسهم حتى يكونوا بمستوى هذا الخطاب الذي لم يكن فوق مستوى المعلمين، بل كان المعلمون هم دون مستوى الخطاب، ولذلك فقد فهم كثير من المعلمين مغزى مهماً لأهداف المؤتمر غير المعلنة التي يجب على كل معلم ذي حس مرهف أن يقف عند هذا المغزى ويعمل على ذاته منذ الآن ليكون المعلم هو من يعد الوجبة لا هو من يأكلها فقط .

ثالثاً: إن الفكر ليس له حدود ملونة، وإننا حينما نتعامل مع النص فإننا نتلقى الكلام فيه تلقياً فكرياً لا كما يريد الكاتب، ولا كما يريد السامع، بل كما تدل عليه النصوص، ومن هنا فقد استطاع عدد من المعلمين أن يفرقوا بين النصوص الأدبية والتربوية والفلسفية، ومع الانتقادات التي وجهت للمداخلات الفلسفية فقد حصل حراك بعد انتهاء اليوم الأول بين المعلمين، حيث أبدى غير واحد من المعلمين شعوراً بعدم الرضا لفكرة الانتقاد بذاته، فأنت لا تستطيع أن تنقد الفلسفة التي هي (حب الحكمة) إلا بالفلسفة، وحينها يكون المعلم بهذه الفلسفة التربوية متميزاً بطرحه قادراً على الإنشاء قبل النقد، وهذه فكرة لامست أسماع عدد من المعلمين، وهذا شيء جميل .

رابعاً: إن فكرة عقد مؤتمر تربوي خارج المؤسسة الرسمية هو أمر فائق الروعة، وهذه بحد ذاتها رؤية تربوية، معلمون من مناطق شتى، بلهجات مختلفة وممارسات متنوعة، ومداخلات ذاتية كل ذلك إيجابيات تربوية تحت قاعدة (الممارسة تقود للتعلم)، ولذلك فإني سأختم بالقول إنني أرقب زيادة الإيجابيات، لأن من يعمل يخطئ، وإنني أقترح أن يعقد المؤتمر كل سنة، وأن تعطى مساحة للحوار بشكل أكبر، وأن يتم الاتصال بمعلمينا من بلدان أخرى عبر النظام المرئي يعرضون فيه تجاربهم الذاتية لتعم الفائدة!

نسيم قبها

انتزاع واعتراف

لفحة الألم تعتمل في صدري وكنت أتمنى أن تعصف بي آلام المخاض لتشهدوا ميلاد حقيقة، في مشوار ملتفح بالخيال يقيه لسع البرد مثل وميض البرق لا تستطيع أن تحتضنه في صدرك شهراً أو لحظة، أما أن يمزق حجب الظلام أمامك، فترى ما هو أمامك وتهتف إني أرى، وإما أن يمزق أحشاء صدرك فلا تعود ترى وتتأوه.

الكلام ولحظة المخاض عن مشوار ليس بطويل، ولكنه الأصعب أن ترى نفسك في النور وأنت في الظلام، حقيقة أنت تعمل وتعمل وفي النهاية أتيحت لك فرصة اعتلاء صحوة الجواد، فأنت محظوظ، ويا ويل الحظ إن ولد في ظروف خارجة عن إرادة البشر؛ يصبح السجن سجنين والسجانون مئة، ولكن من محطتي هذه محطة اللقاءات الحوارية، وبالتحديد في زاوية التكوين المهني وبناء الهوية أننا نبني ذاتاً لتصير فاعلة لا في تحديد شكل وجودها وحركتها فحسب، بل في تعديل محيطها لتكافح أعداء الذات، لنصل إلى الإجابة عن التموضع، وأين أضع ذاتي على الأقل في هذه المساحة من الورقة (المحيط الاجتماعي) لأنني أحاول التمعن في ماهية اللعبة السياسية المرتبطة بالربط الاقتصادي وتوابعه.

لحظة الميلاد تعنى بي كإنسانة تعدت حدود المسمى الوظيفي والروتين، ولأنني لست ممن تعيد الدهان وأتحرك بوجه واحد، إذن سأكون في القائمة السوداء، وأشعر بقرب انهيار المعبد، لذا لن أبكي لحظة المخاض، فلحظة الولادة واحدة، ولكن الأصعب موت طفل الحقيقة، سأحاول تثبيته بالمعرفة والبحث والتواصل الاجتماعي داخل حدودي وخارجها، على الرغم من حواجز الاحتلال. أنا أكره الأجهزة التي أدخلتني جزءاً من عالم العولمة، ولكني أعشقها لأنني أنجبت من خلالها أبناء وبنات لم أحملهم في رحمي.

هنا استوقفتني عبارة "لسيرج غاسبور" يقول فيها (إن البشاعة أقوى من الجمال لأنها أبقى)، وهذا لا ينطبق على محطتي هذه التي أعشق جمال حوارها، وبخاصة حينما أصبح جزءاً من جماعات، ويمكن أن أكون متميزة عنهم لأنني كما عرفت أنها آلية في التعرف على الذات وتعريف بها وآلية دمج وآلية تميز وهذا الأبقى.

تجربتي البسيطة في الحياة (كتمهين) هي بحد ذاتها تمديد للهوية، وتطوير الدور وإعادة قولبته هو جزء من سيرة حياتي التي أعيشها الآن ضمن متطلبات طالباتي وبناتي وأبنائي الذين ولدوا من رحم المعاناة، وليس من رحمي ومحيطي ومجتمعي الذي يثور على المرأة المتمردة، التي تتميز باستقلالية وتتمتع بعنفوان الشباب في تفكيرها، وليس في نمط لباسها على الرغم من ولوجها في خريف العمر.

هذا الكلام أستطيع البوح به حينما أقرر أن أستقل حافلة المحطة هذه (القطان) يمكن أن يكون اللقاء في مؤسسة ما أو فندق ما أو عبر الهاتف. أليس البحث عن الذات في موقع تتحدث منه يكون فاعلاً في الحقل السياسي أو الاجتماعي، يعطيك قيمة للذات، هو جزء من التمهين لمشروع في التكوين المهني، لا ضير هكذا أرى نفسي، أحاول من هنا البحث عن قيمة ذاتي اجتماعياً وسياسياً بعيدة عن كوني مجموعة كفاءات ومهارات لأتحول إلى صيرورة ذات طابع آخر.

وإذا أطلقت العنان للتعبير، كون أن القدرة على التعبير ضرورية، أقول إننا في هذا الوطن المنهار ككل العرب ما استطعنا أن ننجز من الانتصارات لغاية هذه الأيام سوى بعض الشعارات المذكرة، فدفعنا من أجل فحولة الاستقلال آلاف الشهداء، بينما نستخف ببعض الأبواب التي ندرك من خلالها حرية الكلام وإطلاق اللسان، كالذين يهملون أوراقنا التي تعنى بمساندة ذوي الاحتياج في كيفية الصيرورة من كفاءة ومهارة إلى أبعد ما يكون في البحث عن الذات، وتثبيت بصمة على خريطة المسيرة التربوية التي أصبحت ممزقة بفعل الصراعات الداخلية كتكوين سياسي.

لندخل وإياكم هذا المرسم الجميل الذي يضم عدداً من اللوحات الفنية هل لفت انتباهكم شيء؟ هي عبارة جذبتني مكتوب عليها الآتي (الرسامون لا يجيدون فن الكلام أنهم موسيقيون صامتون كل الوقت) هل هذا الكلام ينطبق على التربوي؟ على الرغم من كثرة كلامه حسب ما يقتضي مجاله العلمي، هنا تتعلم كيفية الحديث الذي يزيد جمال كلامك جمالاً في الأسلوب وكيفية الصياغة.

أنا هنا لم أبحث عن شفاه الأشياء كي أقيم معها حواراً استنطاقياً بحثاً عن احتمالات أو خلاف أو عن متع، اختلست في مكان ما وعلى آخر كلمة قالها العشاق بعد سقوط الصندوق الأسود من طائرة سقطت، بل أصبح جل اهتمامي البحث في الكلمات التالية واللقاءات التالية والحوارات التالية لاستنتاج واكتشاف ما لم أعرف أتعلم صياغته وفن التحاور معه وصيرورته هو الآخر.

لم أعد أحزن على لقاء رسم في مخيلتي، بل أكثرني حزناً على تلك اللقاءات التي لا تعلق على جدار القلب وتبقى داخل ورق لا قيمة له سوى لحظات وتنتهي، فالسنة هذه لوحة لم يجتهد الفنان في تصميمها ورسم الخطوط العريضة لها أصبحت حدودها تضيق شيئاً فشيئاً على الرغم من اقتناعي بمساحتها الرحبة المقاسة بمساحة العقول، وليس المساحة الجغرافية التي التهمها المخطط الاحتلالي، ولعلها لا تعلق على جدار القلب

بالمقارنة مع تلك التي يليها النقد البناء والمتابعة وتشعرني بترك بصمة في نفوس المتشاركين باللقاء .

خلف هذا الباب لا تجد أناساً يلقون بك خارجه مع صرة تضم بؤس متاعك ، بل يجذبك لداخله ، فهنا من يسمعك يقلدك أوسمة فخرية لا ينشد كلاماً ، بل ينشد دفئاً تنسى من خلالهم اللون الأصفر الذي بدأ يلون أيامك ويجعلك فقط تعيش فصل الخريف .

من خلالهم تعلمت قبل أن أهجم على أوراقي أن أختار كلماتي بعناية ملاكم ، وأن أصوب بأدنى قدر ممكن من المجازفة ، وأن تكتسب تلك الموهبة التي تسعى لسلامة صاحبها وشمولية نظرته وعدم ترك وصية الأخذ بالثأر إلا على المبتذل وغير الموجه ، بمعنى آخر العب الدور المناسب بأسلوب مناسب ولا تسلم للأنظمة الصحيحة على الورق والمزيفة في التنفيذ ، تعلم كيف تكون ليس كمحارب ينظف سلاحه القديم .

تجربتي مواقع استحضرها على الورق كشخص غيري يلزمه الكثير من الفحولة لمواجهة عري البياض ، ومن لم ينجح في مقاربة أنثى لن يعرف كيف يقارب ورقة .

ولأنني أيقنت أنني أكتب كما نمارس الحب لأشياء كثيرة ، البعض يأخذ الكتابة عنوة كيفما اتفق ، وآخر يعتقد أنها لا تمنحك نفسها لا بالمراودة ، فالكلام طويل ، ولم يكن الفشل الدافع بل المعاناة والقلق من الفشل ، لأن الذين يسعون لفشلك كثر ، ولكن إذا قررت مغادرة محطتي الأولى سأعطي ظهري لشجرة كانت صديقة ولصديق كان عدواً ؛ فالنجاح كما الفشل اختبار لمن حولك ، للذي سيتقرب منك ليسرق ضوءك ، والذي سيعاديك لأن ضوءك كشف عيوبه ، وحين فشل في أن ينجح نذر حياته لإثبات عدم شرعية نجاحك .

رحلتي بدءاً من المحطة الأولى ووصولاً بالحالية هي الآن وراء قناع هذه الكلمات ، لعلك أيها القارئ تتعمق في معانيها ولدي المزيد والمزيد . . ولكن!

نضال السيخ
منسقة منتدى معلمي دورا

المؤتمر .. إزاحة مهمة نحو اكتشاف الذات

أيام قبل موعد التحضير للمؤتمر بشكل فعلي ، دارت الأفكار برأسي ، أحسست بثقل كبير ، هل ما أقدمه جيد؟ وهل هذا هو المطلوب؟ تساءلت أكثر من مرة ، وأقنعت نفسي ، . . ليست هذه المرة الأولى التي ستشاركين بها ، فقد اعتدت على هذا الأمر ، فلا تقلقي وامضي في طريقك ، بغض النظر عن النجاح أو الفشل فدائماً يكفيك شرف التجربة .

كم جميل أن تحس بنفسك يوماً بعد يوم ، وكم هو راقٍ حين تشعر بأهمية ذاتك وتلك الروح المتدفقة بتجدد واستمرار .

تجربة "القطان" تعاد وتكرر في سياق العمل التربوي الإثرائي ، فهذه الأسرة الطيبة التي احتضنتني جعلتني أنخرط في تجاربها ومعايشة ما يتطلعون إليه في التطوير والتجديد وإعادة بناء الإنسان ذاتياً ، وتربوياً ، ومهنياً ، وجعلتني أكتشف تلك القوة والطاقة المتجددة مع كل مؤتمر أشارك فيه .

مشاركتي هذه المرة كانت إنسانية ذاتية ؛ تحكي واقعاً معاشاً ، يحاول الكثيرون التعامي عنه ، في سياق التميز القائم على أسس غير صحيحة ، والمفاضلة القائمة على الحالة الاجتماعية والمكانة الاقتصادية .

حديثي عن تجربتي في سنوات الدراسة ورؤيتي النقدية الحالية لهذا الواقع الذي ما زال موجوداً جعلني أنبش ذاكرتي لأعود بها لمراحل حياتية مهمة أثرت بي سلباً وإيجاباً ، لكن الأجمل هو أني تحدثت عن نفسي وواقعي وحلمي دون خوف ولا تردد ، وتحدثت كما أريد أن أتحدث أنا عن نفسي ، مداخلتي كانت حول (إزاحات في العمل وتغيرات في الذات) ، وحتى هذه التجربة هي إزاحة مهمة في حياتي ، وتجربة لها رونق وعبير خاص يجعلني أعيش هذه التجربة مرات ومرات ، بأحلامي أتذكرها وأعيش تفاصيلها حيث أني عرفت نفسي بها ، ووجدت ما كنت أبحث عنه .

عدت بنفسية عالية وهمة أعلى لأبقى على هذا التواصل الدائم مع كل فكر خلاق ومبتكر ومتجدد .

نورا صلاح
منتدى معلمي الخليل